

بقلم شاكرا مصطفى

ليس اعنف من عداء فكر لفكر .
مقولة اعرفها ، ويعرفها مثلي ، كل هذا الرعيل الذي
ابتلى بظماً الحرف ، منذ كان الحرف . على أنا ، مع ذلك
- او لذلك - نقبل ان ندخل في التجربة ، مادعينا اليها .
يشوقنا « الباب الضيق » ، يفرينا النقد ، ولا اغراء ساق
تهذي بالف شيطان مرید !
واعترف اني مالهدا قبلت ارهاق الدراسة والنقد اياما ،
وانا على سفر . بل اعترف اكثر من هذا ، اني اكفر بالنقد .
ماأمنت يوما به سبيل ابداع . درب الاله الذي يبرأ الخلق
ثم يعيده ، لا تمر بالسفوح ومزاحف العليق . وقد
خلدت في الادب قمم بعد قمم ، فكم ذا فهم من ناقد ومن
ثقاف ؟ وأين مكان النقاد هناك عند سدرة المنتهى ؟
ليخيل الي ان تقويم الفن والنقد بميزان ، هو الذي يشود
الحدود بين فن ونقد . المدع والنقاد - على قسربهما -
لا يلتقيان في طريق . انهما على النهايتين منه ، ضدان - او
صح التضاد - منطلقا واتجاهها ومادة واسلوبا ، المدع
مبادهة ، ثورة تنطلق من التراب لنجعله بشرا سويا . واما
الناقد فردة فعل ، ترجع بالبشر السوي عودا الى عناصره

السמות الاصيلة . في لحظة من مثل هذه خطر للمتنبئ
ان يقول :

انام ملء جفوني عن شواردها ويسهر القوم جراها ويختصم
ولقد يغنى الاثر الفني على السهر والاختصام . لقبد
يمنحه النقد الف تفسير ولون وظل ولكنه يظل لاحقا له
فلا يؤثر مسبقا في تكوينه ، ويظل عند عضة الاصول فلا
ملعب له على الفك الطليق ، ويظل يلوب على القيم الشاملة ،
جمالا وحقا وفلسفة وخيرا وقومية ومآرب اخرى ، بينما
المدعون وراء شوارد جديدة في الافق .

ولقد هممت ان افاجيء اخي الدكتور سهيل ادريس
بكلمة لعدده فن النقد الادبي تحمل كبرى هذا كله ، واذا به
يفاجئني بان اكون نقد النقد ! كنت انكر النقد بسيطا فهنا
انا ذا اقع في النقد المركب !

وقد قرأت العدد ثم قرأته فعرفت .. دعر ابي حنيفة
حين اختيار للقضاء ! كان العدد عشرين صرخة تهتف بي ،
شفة بعد شفة ان : لا .. وان رينا وحذار ، فما هو عدد
كالاعداد . لا قصص . لا شعر حق النيذ على شفتيه ، لا
كلمة تستحم في بركة طيب ، لا حاكورة سوسن ..

ولكنه جين مقطب بعد جين ، وبحث نقب ووزانة وفكر
ناقد .. ومن ذا يقحم على الفقير ، الفقير ؟ ويثير « الحمات »

وحداد الالسنه ؟ ولكني -

لسوء حظي - رضيت ان

احمل الميزان بين اصحاب

الموازين . ارايتني انسيت

ان النقد انما ينبع من تلك

النبعة التي رغبنا غالبا

رغبة الخير ولكن حصادها

غالبا .. بيدر الشوك ؟ ما

انسيت . ولعل لهذا ،

بالعكس ، رضيت . فنحن

اليوم ، في دنيا العرب بكل

مكان ، كلنا تطلع دينامي ،

شفاه من توق محرق ،

دوامة نهم تلعق الورق

اصفر ابيض وفي لون

الشریان كل يوم . وبعض

هذا يكفي لان يجعلنا - مع

غموض مهمة النقد -

انانيات صغيرة تلتقي ،

تصطدم ، ثور ، مخالف

ديكة عمياء ، السلبية الهادمة

فضيلتها الكبرى .

وماذا لو خرجت

انت او انا ، من

هذا البحران ببعض

هذا الباب ...

ابتداء من العدد القادم ، تحاول رئاسة التحرير تجربة
جديدة في هذا الباب « قرأت العدد الماضي من الآداب » .
فهي لن تعهدكما هو المألوف الى اديباء معينين بنقد القصائد
والقصص والابحاث التي يحوبها العدد ، بل ستتشارك
هذه المهمة للقراء انفسهم . فتقدم في كل عدد افضل
ثلاث مقالات وصايتها في نقد العدد السابق ، وتتيح بذلك
للقرء ان يشاركوا في ابداء رأيهم (1) . ولا تشك المجلة
في انها ستكشف عن مواهب جديدة تسهم في تدعيم
النقد العربي واغناثه .

على ان رئاسة التحرير ترجو من القرء الكريم الذي
يود ان يدي برأيه ان يقصر نقده اما على القصص او على
القصائد او على الابحاث ، كما ترجو الا يتأخر وصول هذه
المقالات عن الخامس عشر من كل شهر .

انها تجربة تحاولها « الآداب » لمدة ثلاثة اشهر اولا ،
فاذا حكم القرء انفسهم على نجاحها ، مضينا فيها ، والا
عدنا الى خطتنا السابقة .

« الآداب »

(1) ستدفع ادارة المجلة لصاحب كل مقال نقدي يظهر في هذا
الباب ماكانت تدفعه للادباء الذين كانت تكلفهم بالنقد .

ذاتي فحسب بعض نظرياته وزواياه، فقط ضمن هذا الفك وليس الاختلاف فيه نتيجة الاختلاف في مفهوم الكلمة وحدها، ثمة أبعاد أخرى وأعماق ومستويات شتى وراء ذلك ..

وليركض الى تلاميذ الأستاذ مدافعين، وليستشهدوا بقوله في مقاله « ما أكثر ما يتصدى ناقد نوره نور الشراة لنقد اثر نوره نور الشمس .. » لهؤلاء اقول سلفا « فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » .

الدكتور عبدالله عبد الدائم في ازمة النقد العربي :

بنيان كامل متين من الفكر المنظم والنظرة القومية العميقة ، انسه المقال الوحيد في العدد الذي يشد بمشكلة النقد الى الافق القومي السامي، الى رسالة، دون ان ينسى دوره تجاه النتاج وتجاه الاديب : فمهمة النقد ، في النتاج « ان يعجم ويوازن ويستخلص » ان يجعل من العمل الادبي عملا متجددا متقدما ، « ان يخلق صبوة ابدية الى نصارة الحياة ونسخ الوجود » .

ومهمة النقد تجاه الاديب « ان يشد الموهبة الى رسالتها ، الى مصيرها الذي ينبغي ان تكونه » ، « ان يصل بالاديب الى اقصى ما يستطيع من تفتح على قيم الوجود » « ان يرد الاديب الى التواصل مع تجربة غيره من الابداء والى الاتصال بالتجربة الانسانية عامة » « ان يملأ نقرات الاطلاة الشاملة الكلية التي لا يطيها الاديب بحكم تهمه وانشغاله بسرؤاه ...

ومهمة النقد اخيرا . « ان يربط الانطلاقة القومية مع التفتح الانساني » « ان يسهم مع الادب حافزا وحاميا في وضع كل ما يريده الفكر من صدق ومحبة واحترام للانسان في الحركة القومية العارمة » . . . اما ازمة النقد لدينا فآتية من انه اما ذاتي عضوي او شرطي تحلي او تحليل من خلال نظرة معينة . والموقف النقدي الصحيح هو الموقف الذي يجمع حاولتين في آن واحد :

الاولى تطبيق مجموعة من القواعد الجمالية الموضوعية جهد الاستطلاع الثانية : ربط القيم الجمالية التي يكتشفها في النتاج الادبي بالقيم المثلى للحياة من حق وخير .

والمقال ينبض ايمانا ، انه عين تستشرق آفاقا اخرى في الوجود، وفي التكوين القومي بالذات . ولعل هذا هو ما اعطى تلك الصفحات القوية الطابع النظري الفكري ، فالدكتور عبد الدائم :

١ - لم يبحث البحث العميق فيما هو كائن من ازمة النقد العربي، بقدر ما توجه الى ما يجب ان يكون عليه النقد . ترك الواقع النقدي القائم ليرفع الاعين الى الافق الاخر لذئ نصبه ، فالازمة عنده ازمة « سمو » وازمة قصور في فهم الاهداف النقدية ، لا ازمة وسائل وادوات وطراق . ومن هنا كثرت على اسطره كلمات « يجب » و « لابد » وتلك اللهجة التقريرية الرسولية التي يعرفها الاساندة الموجهون .

٢ - بحث الازمة في جانبها القومي ، كجزء من الانطلاقة العربية العارمة ، وضمن منظومة القيم القومية ، واهمل البحث ضمن العملية النقدية ذاتها . ولعله انما اراد ذلك عامدا حين قرن على العنوان بين يدي بحثه ، كلمة نقد بكلمة عربي ، رمزا الى الاتجاه الخاص الذي سوف يطرق ، وضمن هذا الاطار قدم لنا هذا القلم المكين المكين راتعة مما تعودنا منه .

الشعر الجديد في نظر النقد الجديد

العنوان عريض عريض يعد بدوامة من الخصب وراءه ، وبالف جنينة، كيف وصاحبه هو الدكتور مندور ؟ على ان هذا الامل ما يلبث ان يختنق من نفسه على الاسطر الاولى ، كان الدكتور انما اراد الى مقال لجريدة تطوي بعد الصباح ، وما احسبه قد قصد الى البحث والعمق وراء آفاق الشعر الجديد في موازين النقد الجديد .. اولاً ! فقد كان تردد في الرضى عما كتب .

لقد استعرض بعض الافاكيه حول موقف الشعر الحديث لدى بعض

الجراح ؟ اليست تلك فرصتنا لاقراء قيمة ؟ ان اقسى ما في محاولتي هذه ، ان علي ان اقف امام العدد كله - وكل ما فيه قيم قوى - بنظرية نقدية سوية لاتخذلها ما فيه من ابحاث . علي ان احيك منظومة كاملة من القيم اصنعها بين يدي هذه الاحرف لا لتكون قاعدة التطبيق ولكن مصباح ديوجين ، على الاقل ، او خيط « تيسيوس » في التيه . طبيعة العدد ومادته هي التي تفرض ذلك فليس بين يدي من نتاج فني ، ولكنها هموم النقد ونظرياته ومشاكله هذه التي تهمني ، كالمطر الملون ، بكل فج وسطر !

وانا من الذين يؤمنون ان النقد ليس بفن ابداعى وان يكن موضوعه الفن ، ليكاد يكون علما ، لو تراخت بعض التراخي حدود العلم او مجاهل النفس . انه ليس بالتذوق الادبي فحسب . وما هو من الخلق الفني الخالص ، ولا هو رب القيم والديان يوم يبعثون ... ولكنه انطلاقة شرع كشاف ، رحلة عين موضوعية ضمن الاثر الفني لربطه الربط المتفاعل الجدلي، وكوحدة متكاملة حية، الى قيمته الجمالية « تعبيراً وتجربة » من جهة ، والى دوره الحياتي « التاريخي الاجتماعي » من جهة ثانية ، والى مكانه الانساني من خلال كل اولئك ...

فهل يقبل مني هذا الصباح ؟ وهل يهدين ؟

كان العدد كله اولا صرخة جوع ، ظمأ الى قيمة ، الى فن غائب في زحمة الفنون التي تركض . كان ثمة اجماع على تخلف النقد وعلى انه في ازمة . كنت تقرا بالف شكل فيه ، حاجتنا الى نقد موضوعي مخلص يؤمن . السطر الاول يحكي ذلك والسطر الاخير . تلك كانت في العدد الحقيقة الاولى .

وكان العدد ثانيا لقاء خصبا حول النقطة المظلمة . الاقلام التي حومت في المشكلة ، معظمها جاوز السطوح والجلد . اراد ان يصل الوصول الجدي الى شيء جدي تلك هي الحقيقة الاخرى .

وكان العدد ثالثا محاولة لوضع النقد الادبي امام قيمته البديعية العادلة : لا في اللغو المهذور ولا في الفن المبدع . وامام رسالته القومية الايجابية فلا في الشتيمة والرجم ولا في تكريس الشذوذ ... تلك هي الحقيقة الثالثة في العدد وهي انبل ما فيه .

وقد تكفل الدكتور ادريس بان يحدد المشكلة النقدية على الاسطر الاولى . لقد عاشها سنوات طويلة وهذا ما مكته من ان يركزها في كلمات موجزة محكمة وبرز فراغها المؤلم . ولعله عاشها اكثر مما يجب ان تعاش . فعلى قلمه شظايا واقعية تعرف « الموتورين » و « الحاسدين » و « المداحين » وناسي الكتاب الذي يصدر فلا يلقى « همسة حب او حنان » ! ...

واما الاستاذ نعيمة فقد كان في الذي تميز به دوما : اشراق حرف وصوفية روح . جوه الذي تعرفه له هو الذي اطاف « بالنقد والكلمة » فالمقال كله قصيدة عميقة ورائعة ادبية مرهفة . انه معجزة الكلمة التي تبعد من الاحرف عوالم شتى ثم يعلن « قدسية الكلمة » فيثور على الفحش وعلى جررتها في رغبة الاهواء ، انها صورة الانسان ؟ وهكذا فيما يخلق الكاتب نفسه في ما يكتب ، يخلق الناقد نفسه

فيما ينقد ، والنقد « ذوقي » و « ذاتي » لان مفهوم الكلمة يختلف بين انسان وانسان . « هكذا كان وهكذا سيكون مادامت الكلمة مشاعلا للجميع وما دام التفاوت في الفهم والتذوق والمزاج بين الناس كالتفاوت بين الشراة والشمس . ولن يجديك اي نقد مع الذين نورهم غير نورك » . ان الاستاذ نعيمة كعادته لا يكتب بحثا ولا يمضي في علم واستقصاء فان لبستاه على هذا المقال موعظة راتعة من ناسك « بسكتنا » اما اذا شئنا الحساب على الفكرة فلا بد ان نقول ان النقد اولا ليس بنوقي

المتزمتين ثم عرض قضية هذا الشعر في :

وكلاهما تجربة اخرى مخلعه عن (حجازي) و (عبد الصبور) ...
وقد اجمل الدكتور الحديث على « الشعر الجديد » كـله وهو
« اشعار » لا شعر ، ولعل الاصح ان نقول انه « تجارب » شعريسة
جديدة لما تتبلور بعد ، ولما تأخذ شكلها « الماسي » النهائي .. وما دام
الشعر الجديد لم يقل كلمته الاخيرة ، لم يفجر القيمة التي تضع احد
نيارانه في موضع التيار - الام ، لم يخلق مذهباً تفرضه قوافي شاعر ،
فلا بد ان ينتبه « النقد الجديد » الى كسل تطور اصيل جذري في
التيار ... اي كل تطور يعبر عن قيمة من المذهب الشعري المنتظر ...
في الاتي .

نظرة جديدة في النقد القديم

ما اقرأ مرة الدكتور احسان عباس الا ويزداد تقديري لجهده الادبي
التمكن . انه في الرعيل الذي يبني وينشئ انفسا وغفولا . واعتسرف
ان « نظرتة الجديدة في النقد القديم » قد فتحت لي - وما اشك انه
قد فتحت لعري ايضاً - آفاقاً جديدة من البحث . انها « نظرة جديدة »
بكل ما في الجدة من مفاجيء ، وطريف وعميق . كان المقال انطلاقة
علمية ممتازة في هذا الدرب الجديد ، الموضوعية الدقيقة اساس فيها ..
والذكاء الفطن . وقد كشف الدكتور عباس - رغم بعض المحاولات
الاخرى لدى غيره - لماذا انبثق النقد الادبي العربي في القرن الثالث؟
ولماذا اخذت النظرية الشعرية اساساً ثورياً ؟ ومن ذا الذي كسر
« النظرية النثرية » في الشعر ؟ وكيف تبلورت صورة النقد كنوع من
المقاومة ، لا المسابرة ، للمؤثرات الثقافية الاجنبية ؟ وكشف الي هذا
بعضاً من نظريات النقد العربية في لقطات نفسية وجمالية ؟ ومعنى
تلك الكلمة التي كانت « ام » النقد الشعري : عمود الشعر !
ولعله احس انه ليس يستطيع وضع الكلمة الاخيرة ، او ان كفاه ان
يشير الاسئلة ، ويضع « القضية النقدية القديمة » على صعيدھا العلمي
الحقيقي فانھي مقالھ بوضع اسس البحث ان يريد البحث ...
كنت انھني لو احتجز الدكتور عباس صفحات اخرى بعد صفحات
من عدد (الاداب) ليتناول جوانب الموضوع كلها بهذه الدائقة العلمية -
الادبية التي عرفت عنه . فهل تراه يحاول ذلك في اعداد اخرى ؟

النقد والعمليسة الابداعية

البحث ، مشوار طويل ممتع ، رحلة بين قطب وقطب من نظريات
الفن . حاول الدكتور (علي سعد) فيها ان يثبت ان النقد فن قائم
بذاته ، وانه عمل ابداعي كغيره ... وما ادري اذا كان ما قدمت ، على
المقرات الاولى من حديثي ، قد وضعني سلفاً ، على الجانب الاخر من
آراء الدكتور هذه . ولكني لعلي انسى ، موقناً ، ذلك لالخص اول ذلك
البحث القوي الرصين :

١ - فالنقد - عند الدكتور - فن قائم بذاته واذا كانت مادته هي
الاعمال الفنية الاخرى فليست علاقته بتلك المادة اكثر من علاقة الطب
بالجسم البشري ، ومن علاقة اي علم بمادته ، ولا يختلف ارتباط النقد
بمظاهر الابداع ، في نوعيته ، عن ارتباط فن الشعر باللغة ، وفن الرياضة
بمواد البناء . كما ان علاقة النقد بالعلوم التي تساعد ليس اكثر من
علاقة علم الحياة بالعلوم المختلفة التي ترفده .

٢ - اراد الدكتور ان يثبت ان النقد « عملية ابداعية » اي « عملية
- كما قال - فيها القدرة الفائقة على التمييز عن الجمال وعلى تقسّل
الاحساس به الى الآخرين » . ولهذا فقد ذهب في رحلته لتحديد
الجمال وتعريف الفن ، رحلة طويلة من الاغريق الى العرب الى الرومان ،
ومن افلاطون وارسطو الى كسانت وهيل ... « نظريات » ، وغيبية
تجريدية لم يرضها فمظف على برغسون وفاليري ومولينييه واخيراً ماركس
وبليخانوف ... وخرج من رحلته بان العنصر الاساسي في الابداع الفني
هو النزعة لطبع الاشياء - موضوع الفن - بالطابع الفردي .

٣ - حاول الدكتور ان يبين ان هذه الصفة في الابداع الفني تنطبق

١ - ان صورته الجديدة هي استجابة لحافز نفسي .
٢ - ان العقلية العربية قد تغيرت فلا بد ان من تغيير شكل القصيدة
بما يتفق مع الافكار الجديدة وبما يتعد عن الشعر التقريبي البارد ،
وهذا سبب اعتماد المجددين على « التفصيلة » ، وحدة موسيقية .
٣ - ان الشعر لم يعد مدحاً وزينة للمحافل أي « خطابة شعريسة »
بل اصبح في حالات كثيرة نوعاً من مناجاة الانسان لنفسه او لآخيه .
٤ - لم يعد الشعر متعة الخواص ولكنه للشعوب الان فيجب ان يلتقط
لفتها البسيطة (شرط الفصاحة) .

وانتقد الدكتور مندور الشعر الجديد في :

١ - ان (التفصيلة) الموحدة قد تصل الى الرتبة المملة .
٢ - ان الصورة الجديدة لا تصلح لكافة المضامين .
٣ - ان الشعر الجديد قد يسيء اليه بعض السذج .

ان الدكتور مندور سلطة ادبية نقدية ، وفلم أحب - كالكتيرين -
واحترم . (وليس لي ها هنا ، على المجال الضيق ، ان اعود الى بحثه
بالتوسعة والايضاح ولكن من واجبي على الاقل ان اشير الى الابعاد التي
اهمل ، والى الاعماق التي ترك دون ضوء) ولكنه تناول قضية الشعر
الجديد (وهو الناقد الجديد) تناول السطحي لا الفحصي ، والتناول
الجزئي لا الكلي الشامل ... انك لتحس انه لا يعيئ المشكلة باعصابه
ولكن على طرف قلمه .

فالشعر الجديد اولا ليس نتيجة العملية العربية الجديدة التي اراد
الدكتور ان يسميها بالوجدان الفكري (؟) ولكنه الابن ، الابن الرحوي ،
للحياة العربية الجديدة كلها بمختلف مسنوباتها . وايست اطارات
الشعر ثانيا هي التي تغيرت الى التفصيلة الموحدة . ذلك هو التبدل
السطحي ، تبدل الجلد لا الكيان . ان المضمون الشعري هو الذي يتبدل ،
الموسيقى والفكرة والشحنة الشعورية والاداء الجمالي كل اولئك الان
في ثورة ، اي في تمرد على واقع واستهداف لآخر غيره . ان الشكل لا
يعني الوزن والقافية .. الا بمقدار ما يكون الانسان صورته التي تلتقطها
آلة التصوير ... انه الوحدة العضوية الحية . انه التعاطف التابض
في داخل الكلمات والاوزان بين اعماق السمعور وحركية التعبير .

ولا اعتقد اني اقول بهذا الكلمة الاخيرة ولكني اشعر بوضوح ان نمه .
محاولة للاتصال من جديد ، بشكل عنيف وحسي بدائي - ان فيلنسا
هذه الاوصاف - بمنابع الحياة العربية لاجداد شعر جديد ، ايجاد عمود
اخر للشعر ، ونظرية كاملة لسه .

واهمل الدكتور ثالثاً : بحث حركية الشعر الجديد بجساده الشعر
التقليدي السكوني . الشعر القديم يدور حول موضوع ثابت مسن
المكان ، لا حول حادثة تستغرق زمناً . وادخال الزمن الحي في القصيدة
هو ابرز انتصارات الشعر الحديث . انه يرفض البناء الهندسي -
الصوتي ، البناء المتوازن المتناظر ، كمدايك الحجارة والاعمدة في معبد
اغريقي ، ليعتمد على ابعاد الكلمة نفسها ، وعلى طاقتها الابحائية . ثم
ان الكلمة - الرمز ، الابعاق الصوتي ، المحتوى الانساني للقصيدة لا
المحتوى - الحادث ، كل ذلك قد دخل القصيدة الجديدة بقيم جديدة .
ليس الاختلاف الان بين شكل وشكل ولا بين « خطابة » و « نجوى »
- كما اشار الدكتور - ولكنه اختلاف في مفهوم الشعر ذاته : شعر او
لا شعر !

ولم ينتبه الدكتور مندور رابعاً : الى اختلاف التجارب في الشعر
الحديث . كانت ابعاد نظره لا تجاوز - على ما يظهر - حدود الذين
خطروا في باله . وما اظنه يجهل الشغاف الشاعرة . ان محاولات (١)
القباني غير محاولات ادونيس ، والسياب بعيد ، بعيد عن البياتي ،

(١) اسميها محاولات وتجارب لانها ما تزال تنتظر النظرية الشعرية
التي تمذهبها بشكل مذهب شعري كامل ولا علاقة لهذا باعجابي الشديد
بما ينتج هؤلاء الشعراء وما يقدمون من امكانية شعرية هي في الذروة
من الجمال والقوة والطاقة الموحية .

على النقد . لقد يأخذ من العلم شيئا ولكن ذلك يجعله فقط على « التخوم القائمة بين العلم والفن » .
 { « النقد يمر بحالات الخلق التي مر بها الفنان ولكن بشكسل عكسي » . فهو اذن « عمل ابداعي ولكن بصورة معكوسة » . والفنان نفسه ناقد او ليس يتفح في آثاره ؟
 واغضب الحق لو انكرت على الدكتور سمد جهده الكبير ، وسوء اطلاعه . لقد كان البحث واقيا ، عميقا يحاول ان يشمل كل افاق يتفتح . ولكن ...

اولا : لست وافق الدكتور علي ان العلاقة بين النقد ومادته لا تختلف في النوع عن علاقة الشعر باللغة والطب بالجسم الانساني . انا لو صرفنا النظر عن افق العلوم - كي نبقى في فلك الفنون وحدها - لوجدنا ان علاقة اي فن بمادته هي علاقة تركيبية بينما علاقة النقد بالفنون تحليلية . ثم انا لا نسمي الطب خلقا بيولوجيا ومشاركة للاله في تلك التهمة الجبارة ، لمجرد انه يحمل البضع ويشرح الجثث !
 ثانيا : لم يكن الدكتور بحاجة الى تلك الرحلة الطويلة في غاب الفلاسفة كي يثبت ان الفن « فردي » فتلك ميزة نستطيع ان نتفق عليها بسهولة . واكاد اعتقد ان هذا التلخيص الذي انتهى به من تلك العجولة كان « فسرا » للمقدمات والافوال التي قدمها . لقد ارفغها ارغاما على ان تلقي بالفكرة التي يريد ان يخرج بها . اخذ منها فكرة « الفردية » وترك الفكرة الالهة ، ترك الخلق البديء الذي هو العملية الابدائية الحقيقية ، وراء الفردية . برغمون يقول - فيما نقل الدكتور - « الفن رؤية اكثر مباشرة للواقع » اوتتجه النقد الى الواقع ام الى الاثر الفني ؟

ثالثا : نقطة الخطأ عند الدكتور انه لم يفرق بين موضوع النقد وبين العملية النقدية نفسها . مادة النقد هي الفنون ، ولكن العملية النقدية نفسها ليست فنا . ولقد شعر الدكتور بذلك في احدى اللخطات ، فاذا به بعد النقد عن الفن ليجمله على تخوم العلم . ولكنه راح يحساول في الوقت نفسه ان يبعده عن العلم كره اخرى بقوله ان السرنالية اعتمدته ايضا على معطيات العلوم فلم يصبح علما والقصة الواقعية والتجريبية والمسرحيات الالمانية في القرن الماضي كلها كانت تعكس التطورات العلمية والفكرية المعاصرة لها فلم تتحول بذلك الى علوم ...
 أمن الضروري ان نذكر الدكتور سمدنا هنا بان السرنالية وبان القصة الواقعية والتجريبية اخذت العلم مادة للبناء الفني لا طريقة وحدودا كالنقد ؟ وان اثار تشيكوف وغوركي صورت بصورة عفوية عمرها وليس ذلك جزء من تكوينها الفني أي ليس يحدد قيمتها الجمالية ؟
 اني اتفق مع الدكتور في ان النشاط الفني وعى كله . انه يزخر بالمنطق والفاعلية والعقل المنظم . ما هو يحلم ولكنه ضرب من التنبيه الواعي العميق والتنظيم الذهني المرقق . ولقد تستوحي العلوم ، ولكن معطياتها تدخل المادة الفنية نسفا وتكونا ، والنقد انما يأخذها وسيملة وطريقة ونظرية .

رابعا : صحيح ، كل الصحة ، ان النقد يمر بحالات الخلق الفني ، باتجاه عكسي . ولكن الدكتور استنتج من ذلك ان النقد عمل ابداعي ولكن بصورة معكوسة . وهي قفزة استنتاجية اعتقد انه يوافقني على انها بعيدة . لاصوب ان نقول : انه انطلاق عكسي في عمل ابداعي معين . ثمة فرق واضح بين الحدين . فلقد تكون العملية العكسية صورة فردية للناقد ، ولقد تعكس تجربته ونفسه ولكن ليس يتقصها دوما ذلك العنصر الاساسي في الخلق الفني وهو : الابداع البديء ، القفزة الاولى في اللاوعي لتحويله الى وعي ، الحركة الانتقالية الاساسية بين عدم وجود لاجداد كون جديد ؟

الاسس النفسية للنقد الفني

ما ان بدأت اقرأ هذا البحث العميق المنظم للدكتور مصطفى سويف حتى تذكرت كتابه الذي رقد الجو الادبي - العلمي به منذ حوالي عشر سنوات : (الاسس النفسية للابداع الفني) . ان الدكتور قد اعطانا ،

في بحثه ، ملحقات للكتاب ، وتتمت . الذين لم ينسوا ما في قلمه من موضوعية ومن اطلاع ومن ذكاء في الملاحظة السيكولوجية ، يستطيعون ان يقدروا له في هذا البحث ميزاته هذه كره اخرى . لقد عرض لتاريخ البحث في التدفق الفني فذكر انه يتسم بالجزئية وبالتامل النظري . ثم خطط الحركة التدفوقية (في الشعر خاصة) من الدائرة الواسعة للاستعدادات التي يحملها المرء ، لاصدار احكام القيم على الاعمال الفنية ، الى الاطار الثقافي للتدفوق ، الى التهيؤ النفسي ثم يأتي - ادراك القصيدة - ثم يلي ذلك الاثر اللاحق ...

ولن اذهب مع بحث الدكتور تلخيصا فقد لخص بنفسه ، في النهاية ، ما بحث . ولعل اهم ما اشار اليه .. (بجانب الدقة ، وتتبع الملاحظات الشاردة هنا وهناك) :

١ - تلك الغاية المشتبكة من العوامل الكامنة ، كالتسوغ السرية ، وراء الذوق الادبي . ان « الاطار » الثقافي للتدفوق ليس بسيط التركيب ولكن فيه « القدرة على ممارسة الابقاع ، والقدرة على استقلال اصوات الكلام والمزاوجة بين ظاهرتين وارديتين من حاستين مختلفتين ، والتداعي السريع للافكار والتداعي على اساس مفاتيح ضعيفة ، والجمع بين مجموعة من الافكار المختلفة في مجال الادراك الواضح ، في لحظة واحدة ، وسرعة تغيير الحالة الانفعالية . وهذه القدرات او المهارات او العوامل السيكولوجية كلها مجال خصب لظهور الفروق الفردية ... »

٢ - التهيؤ النفسي واثره في التدفق . تلك الحسالة الوجدانية الهائنة التي لا حزن هي ولا فرح ولا انفعال مرتبط بموضوع محدد ، فيها يكمن معظم انواع النقد الانطباعي التائري .

٣ - ابراز مفهوم (الاطار) مقابل كلمة الذوق . ان الاطار ، ذلك الكون المعقد من العوامل ، والذي تكسب صورته بالخبرة وتؤثر صورته (موسيقيا كان او شعريا او تصويريا) بعضها من بعض (وقد لا يتم هذا التأثير بدرجة واحدة) ، هذا الاطار الذي يكسب خبرة التدفق دلالتها الوجدانية والعقلية هو مسا يفيد الدكتور كبديل علمي لمفهوم الذوق .

لو كان النقد تأثريا فقط ، عملية ذاتية ، كالابداع الفني ، لكان هذا البحث قد سلط النور القوي على اعقق عناصره . ولكن النقد ليس تدفقا فحسب ، انه تقويم ايضا ، وهو تحليل موضوعي ، من خلال الواقع الحيواني والانساني للاثر الفني ، ومن خلال جماليته .

وقد اعتمد الدكتور ، على الملاحظة الاستبطانية حينما ، وعلى الاستنتاج بالمقارنة حينما اخر ، وكانت تنقصه الدلائل التجريبية في بعض المراحل وما يتقص هذا من قيمة بحثه ، فكل اولئك وسائل علمية معترف بها وان تكن لا تحمل اليقين العلمي النهائي . ثم ان البحث مقال تخطيطي ، ولقد سجل الدكتور ، بتواضع العالم ، انه مجرد تخطيط ... وضمن هذا الحد كان المقال تحفة العدد العملية ، وخير ما فيه دراسة موضوعية .

لغة الاداء في القصة والمسرحية

يتكلم الاستاذ المداوي في هذا المقال باسم مجموعة من النقاد يقول « لنا فهما الخاص لرسالة الادب » . ولنا « نظرتنا الذاتية » وهي نتاج تأثري لجيلنا الذي يسابر ركب التطور وينشد التجديد ... »
 وهدف هؤلاء النقاد - كما يقول : « .. ان نشق للادب مجرى عميقا وطويلا خلال اكبر عدد من الصفوف الجماهيرية لتخليص الادب من الارتباط بالثقفين وحدهم . ان هذه المقدمة تصفي على الراء الذي سيدلي بها الاستاذ المداوي شانا خاصا . انها اذا تيار نقدي ... بعيد الاهداف فماذا يريد في التطبيق ؟

يريد ان تكون عملية السرد (في المسرحية والقصة) بالفصحي ، على ان تكون مبسطة بحيث لا يصعب فهمها على رجل الشارع . اما الحوار فيجب ان يكتب بنفس اللغة التي تنطق بها الشخصيات في الواقع المعاش او بتعبير اخر بلغة حياتها اليومية . والهدف من ذلك مزدوج :

١ - « ان نضمن سلامة المفهوم الفني لعملية التصوير القصصي »

الحب والخصب في ديوان فدوى طوقان (اعطنا حبا)

رحلة في دنيا (فدوى طوقان) ، في ملحمة الحب التي توفرت الشاعرته المهفة ، على كتابتها خلال حياتها الشعرية بأسرها .. وأنا لا اومن بالقولة التي تزعم انه لا يفهم الشعر كشاعر ولكن السيدة ملك عبد العزيز استطاعت ان تفهم زميلتها الشاعرته احلى الفهم واعمقه . ان التحليل الذي قدمته كان ينتظم نجمة نجمة ، ذلك الفلك الشعائر الرهيف الذي خلقته فدوى.. حتى اكتمل افقا وشعاعا ورغشة . ولن نطبق على السيدة عبد العزيز نظرية متكاملة في النقد تطالبها بتقصي الاسباب والعوامل والهمسات .. حسبها أنها فهمت بروحها شعر روح اخرى.

مع الدكتور مندور

هذه عودة اخرى الى الدكتور مندور ايضا . وما اظنني مطالبيا بالوقوف عند حديثه كله ، فانه يكاد يكون تاريخ حياة ناقد ، الا انني لا اعني نفسي من الوقوف عند تعريفه للواقعية الاشتراكية في النقد: انها تعني عنده :

١ - مطالبة الاديب بان يكون له هدف مما يكتب .
٢ - ان يصور الواقع ويتخير منه ما هو اوسع واعمق .
٣ - ان يتفاعل ويتق بالانسان .
٤ - والنقد الواقعي الاشتراكي لا يفغل القيم الجمالية .
(« وهكذا - كما يقول - اصبحت انقد كل عمل ادبي واحكم لسه او عليه جامعا بين هذين الشقين : شق المضمون والشق الذي نسميه بالصورة الجمالية . ») وليسمح لي استنادنا الدكتور مرة اخرى ايضا ان اطالبه ببعض العمق ، وايضاح المفاهيم :

اولا : ان الواقعية الاشتراكية ، هذا التعبير المنقط من الماركسيين يأخذ لدى الدكتور مندور المفهوم التقليدي للنقد ، مرة اخرى، مفهوم المضمون والصورة . فكانما كان التعبير للزينة .

ثانيا : انه يضع فيه شروطا للاديب لا للناقد .. وهي شروط ، ضبابية تمتد حدودا في كل افق فأي اديب لا هدف له مما يكتب ؟ واي فنّان لا يحاول تصويرا اعمق واوسع للواقع ؟ ومن ذا الذي لا يتق بالانسان فينتج ؟ .. وهل يقصد الدكتور الالتزام ؟ واي التزام ؟

ثالثا : ليس ثمة من نقد (واقعي اشتراكي) هذا المفهوم السياسي يتسلل ، في غفلة من النقد ، الى النقد . هناك واقعية بلى ! واما الاشتراكية فلا تعبر عن تيار فني معين . لقد تكون نظرة سياسية لدى الناقد او الفنان (« يلتزم ») بها ، ولكنها ليست نظرية جمالية للادب والنقد . هي تطبيق اجتماعي لوقف فلسفي معين امام الواقع ، لرؤية معينة ، وليست هي ذلك الموقف ولا تلك الرؤية . انك لا ترى الفن من خلال الاشتراكية ولكن قد ترى الاشتراكية من خلال الفن (اذا شاء الفنان ان يعبر عنها) .. اتراني اوضحت لماذا ليس ثمة من نقد اشتراكي وان يكن هناك ادب اشتراكي ؟ ثم ان شرط النظرية النقدية ان تكون قابلة للشمول فهل يستطيع الدكتور ان يطبق الواقعية الاشتراكية في نقد الشعر العباسي مثلا ؟ او في تقويم الرومانتيكية الفرنسية دون ان يتحيف من كليهما ؟

ان اولئك الذين سجدوا هذا الاصطلاح من السياسة الى الفن، هم انفسهم حائرون في فهمه وتطبيقه .. وليس اخطر من الاقتباس السريع للشعارات البراقة !

نقد وتحليل (الالهة المسوخة)

حملني المقال ، برغمي ، الى رواية (الالهة المسوخة) افروها ثم اقرأ .. ثم اعود الى تحليل السيدة مترجي ادريس لافارن ما حصدت بالذي حصدت .. يفتنك في الرواية تلك الطاقة الايجابية التي تودعها ليلى بعلبكي في جملها ، في الكلمات ، في الحروف .. ويعجبك في السيدة النافذة تلك الدقة البارة في الصيد . ولكنك في الحالين رابع رابع ! انها دعوة ، هذه الكلمات ، لان نقرأ الطرفين !

ولقد وددت لو محت السيدة ادريس من مقالها بعض الجمل المعترضة .. ما حملت هذه الجمل من شحنات السخر اساء الى المقال . ولولاها ، لولا وخدما لكان من امتع النقد وارضنه . لحظات السخر حلوة .. ولكن الموضوعية تهت عند اغرائها المر . ولقد تتسرك لشبهة الحقن ان تعوم حول اخلاقية الناقد . وما احسب الناقدة قد قصدت الى غير الايضاح وابرار الصور والفكر .

نقاط قليلة اختلف فيها اخننا السيدة ادريس :

١ - فليست « احداث الرواية كثيرة جدا » .. وقد يكون « التركيز والتحليل النفسي » قد ظلما فيها ولكن ما لاحداث الرواية من ذنب في ذلك . وهل كان الورق محدودا لدى الانسة بعلبكي او كانت الكلمات معدودة عليها ؟

٢ - صحيح ان « شخصيات الرواية غرباء » عنا، عن واقعنا نحن، ولكنهم ليسوا شخصيات تجريدية « ذهنية » . ثمة غرابة كثيرة او قليلة فيهم ولكن امن الضروري ان يمثلوا واقع (الفتاة الشرقية) والشباب الشرقي ؟ و (الفتاة العربية المعاصرة) ؟ ليكونوا غير ذهنيين ؟

٣ - لا نستطيع ان نطالب المؤلف بان تأخذ « نموذجا ايجابيا ، مما يقبل في جيلنا » . ان للفنان حرية الكاملة في ان يختار واقعه . ان كل ما نطالبه به هو الصدق ، صدق التجربة وصدق الاداء . لقد نستطيع ان نقول ان « التجربة » لدى بعلبكي غير صادقة . ومن هنا ذلك الزيف ، ذلك الاصطناع (المسوخ) في بعض الاحداث والشخصيات . واما الابطال فيجب ان يظلوا .. على ما خلقهم له الفنان .. جيا بارة او دمي او صراصير !

٤ - انا مع السيدة النافذة ، في الذي اثارته من قضية اللغة . لشد ما يصدك في ذلك العمسلسل الفني كلمات من نوع : لعوست ، واعلوك .. او اخطاء النحو والصرف .. مما يعرفه الصغار . لقد قدمت السيدة ادريس ، على اي حال ، نموذجا من اقوى النماذج للنقد ، لو لم تستجب للسخر وللقول في النهاية بان الرواية «مسوخة» مرة واحدة !

الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث :

هو مقال العدد كله في النقد ، عمقا واستقصاء ، وقوة نظرية . انه وحده نظرية كاملة موضوعية في النقد الادبي .. هل تراني ابالغ ؟ فهذه هي الخطوط الكبرى لما كتبه الاستاذ غالي شكري :

١ - حلل مفهوم الواقعية الاشتراكية في النقد . ابان تناقضه ، نفاه كنظرية نقدية وجاء مقابله - ولو بشكل غير واضح - بمفهوم التجربة الانسانية .

٢ - نفى مفهوم التقدمية والرجعية في المجال الفني . ان الانتماء لطبقة اجتماعية او تمثيلها لا يكفي للحكم على الفن . وجاء مقابل ذلك بمفهوم الصدق . لا بالمعنى الاخلاقي ولكن بالدلالة الفنية .

٣ - نفى قضية الشكل والمضمون بل اوضح اكثر من هذا ان التعريفات التي حاولت تعديلها فشلت عند التطبيق . وجاء مقابل ذلك بمفهوم الوحدة الدينامية الداخلية المتفاعلة تفاعلا حيا في داخل العملية الادبية .

٤ - حدد بعد هذا صلة الفن بالحياة :

فهي تلقائية ، ليست انعكاسا للحياة في الفن ولكن نشاط متفاعل بالضرورة مع تفاعلات الحياة

وهي ليست ميكانيكية واذا كان الفن لا يتفصل عن الوجود المادي للعالم فانه يخلق واقعا جديدا منه .

المشكلة هي على اي وجه تكون صلة الفن بالحياة ليكون للفن دور قيادي ارادي في حياة الناس بدل النشاط العفوي.

- التتمة على الصفحة ٧٦ -

قرأت العدد الماضي من الاداب

— تمة المنشور على الصفحة ٧ —

٥ - انتهى بان اوضح ، في مجال التطبيق ، ان العمل النقدي هو :
 - تعرف على العناصر المكونة للعمل الفني .
 - كيفية تكوين تلك العناصر
 - السبب او الاسباب في فشل او نجاح الوحدة الدينامية في العمل الفني ..
 وليس لك مسع هذا البناء المنطقي التبيين من تعليق سوى الاعجاب (١) وسوى السؤال عن السبب في اختيار (الواقعية الاشتراكية) عنوانا للبحث ... اما كان يستطيع اختيار عنوان اخر الصق بالنتائج التي وصلها ؟

اتجاهات النقد المعاصر للقصة العربية :

وهذا مقال اخر تعب صاحبه في تكوينه والحشد له . لقد استطاع الاستاذ طرايشي ان يستعرض ، في نظرة من المنطق والاطلاع واسعة واقع النقد الادبي للقصة ، ولو شاء ان يقول للنقد الادبي كله استطاع . وبالرغم من اني اخالفه بعض المخالفة في التفسير الديالكتيكي السذي قدمه بين يدي بحثه ، والذي اعترف هو نفسه بتعسفه الا انه استطاع ان يوضح تيارات النقد القائمة . فمارون عبود ذوق فقط ونظرية الاداء النفسي عند العداوي محاولة لنقد عملية الابداع ذاتها اكثر من نتيجة الابداع . وتفشل في القصة .. وتأثرية مندور تصلح للشعر وهي في التطبيق « لا منهجية » كاملة ..

وكان ابضاحه للتيار الماركسي ، والوجودي والفرويدي ، ابضاحا وافييا طيبا ولعله تعجل في النهاية فركض !! . اود قبل ان يغيب لو أهمس في ذاته :

اولا : ان مندور قد تحول عن التأثرية الى الموضوعية ثم .. الى الواقعية الاشتراكية .

ثانيا : ان التيارين الوجودي والفرويدي في النقد غير موجودين في الواقع .

ثالثا : ان النقد القصصي القائم لانتجه - كما قال - الى « التكنيك » والى الطريقة فحسب . ان ما ينشر من هذا النقد ، على تفرقه ، وعدم ارتباطه بمدرسة من المدارس ، او بتيار معين يحاول بوضوح الا يفصل موضوع القصة عن تكتيتها .

واخيرا ارجو ان يسامحني باقي الاخوان الذي اشتركوا في تحرير عدد النقد . لقد اطلت في الحديث وما احب ان اظلمهم ولكن ... كان مقال الاستاذ سليم زهدي يتميز بالحس السليم ولكن عمق الابحاث الاخرى قد جعله ينصل لونا ويجف ثمرا .

وقد حاولت ان اقرا « نشيد الرخام والشمس » فلم اجده في مكان .. لانه لم ينشر بعد فكيف اتحدث عن مقال الاستاذ هاني صعب ؟ . كل ما استطع قوله هو ان النشر الرائع في المقال ، هذا الشعر الحلو قد استغرقني فما ملكت الا الاعجاب والتقدير .

واما « سيكولوجية النقد والناقد » فكانت الاسطر العابرة في الموضوع . كانت لقطات سريعة من هنا وهناك .. وعرض العنوان هو الذي جعلها تفشل وتبهت .

وعزيز علي الا استطيع الوقوف عند مقال الدكتور شكري فيصل حول « عزبة بيانوتي » . لقد عرفت المسرحية ، عشتها عن بعد من خلال ماكتب الدكتور ، شاركته انفعاله وتذوقه البديع لها ولكن ... من (١) كنت اتمنى الا يستعمل الاستاذ غالي كلمة « خانات » ونسي العربية غيرها .

المؤسف اني لم اشهد المسرحية نفسها لاناقتش . واذا جاز لي ان اقول كلمة فهي كلمة تقدير لنقد ذواق ، واع حلل الشخصيات « في المسرحية وفي التمثيل » باجياها الثلاثة ، وبالرأة والجيل فيها ، وبالمرتكز النفسي للمسرحية ومعناها حتى كانت تراهها معه وتقرأها على يديه ..

ولقد حاول عبد المحسن الحكيم ان يبرز المشكلة النقدية في العراق .. حاول ، بلى ! ولكنه اثر السرعة وتسجيل الغواطر العابرة في احكام قيم تقرر اكثر مما تحلل وتامل اكثر مما تكشف الواقع .

واراد الاستاذ ابن ذريل ان يحدثنا عن همومنا في النقد .. وهو هو احد الهموم الكبرى : ذكر من هذه الهموم « التاصيل » عند الاديب واردة التلمه والخذ بالنهج العلمي والخذ بالاسباب الاسلوبية ... كنت اتمنى على الاستاذ ابن ذريل لو اعطى هذه النقاط المزيد من العمق لو منحنا من نفسه ما اعهدده فيه من جدية وابداع . اليس من حقنا ان نطلب منه ذلك ؟

★

والان ، وقد وصلنا معا الى الغلاف الاخير من العدد الست تشعر معي بانك - لولا بعض الثغرات - امام كتاب متكامل في النقد الادبي المعاصر ؟ اكاد اعتقد ان الدكتور ادريس قد خطط العدد تخطيطا ينتهي به الى ان يكون وحدة . لو كان الامر لي لاعدت ترتيب العدد ، فأضحى كتابا في اربعة اقسام ، لايهمنى وفاها ام لو يوفها اصحابها حقها من البحث والعمق :

مقدمة : الكلمة والنقد	} القسم النظري
الاسس النفسية للنقد الفني	
النقد والعملية الابداعية	
الموضوعية والنقد	
سيكولوجية النقد والناقد	(دراسة نظرية نفسية للنقد)
مقدمة : نحن والنقد	} القسم الثاني
نظرة جديدة في النقد القديم	
ازمة النقد العربي	
هل لدينا مذاهب ادبية	
النقد الادبي ومناهجه	} نحو نظرية جديدة في النقد العربي
الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث	
انجازات النقد في القصة المعاصرة	} القسم الثالث
لغة الاداء في المسرحية والقصة	
الشعر الجديد في نظر النقد الجديد	
من همومنا في النقد	
النقد الادبي والحياة في العراق	} من قضايا النقد العربي المعاصر
نموذج لناقد « مندور »	
نموذج من نقد رواية : الالهة المسموخة	
« شعر : دواوين فدوى طوقان	
نقد النثر الفني : نشيد الرخام والشمس	} نماذج من النقد القائم
المسرحية : عزبة بيانوتي	

وبعد ، فقد هجا الشاعر الامريكي « جيمس لول » النقاد في قصيدة طويلة جعل خرافتها ان الناقد وعد ان يأتي الاله ابولون بزهرة فدار حقول الابداء حقلا حقلا ثم عاد .. بشوكة .

اتراهم كثيرين اولئك الذين سيفتشون من اجلي عن هذه القصيدة ؟

شاكر مصطفى

دمشق